ايام الطوفان في مدينـــة الصدر ٤٠٪ يابســة و٦٠٪ مـــاء !

عبد الزهرة المنشداوي
تصوير : نهاد العزاوي

انه الطوفان ولكن بلا سفينة تقل أهالي مدينة الصدر الذين أخذهم سيل المطر المنهمر ليومين متتاليين ، وكأن مياه المجاري الطافحة في قلب الصيف غير كافية.

الكل توقع ما سوف تؤول إليه الأمور ، فشبكة المجاري عاطلة ومحاولات إصلاحها ليست جذرية مثلها مثل حملة الاعمار التي اكتفت بدهان جدران البنايات بالوان زاهية في حين قبع الخراب في الداخل ، المهم ان المطر الاخير كشف الامور واثبت زيف التصريحات والتقولات التي كان يطلقها مسؤولو امانة بغداد جزافاً.

ابو فلاح من قطاع ٣٩ في مدينة الصدر وله ثلاثة ابناء متزوجون ولهم اطفال غمرت المياه باحة بيته ودخلت غرف النوم واقتضت خطته ان يرحل زوجات ابنائه من البيت الغريق مع اطفالهن الى بيوت اهلهن ، هو الحل الوحيد الذي تفتقت عنه ذهنيته.

ام محمد صاحبة بقالة في القطاع نفسه يقع بيتها على شارع عام وواسع فعمدت الى شراء تل من الرمل عملت منه مصداً للمياه التي بدأت تنساب الى زوايا البيت. لكن طريقتها هذه لم تكلل بالنجاح بعد ان جرفت المياه جدار الرمل امامها.

منظر اثار انتباه السابلة: شرطي مرور تخلى عن جزمته وكف بنطاله الى ما فوق الركبتين وراح ينظم سير حافلات النقل التي تداخلت مع بعضها مثل عقدة افاع في مدخل المدينة.

وفي منطقة الطالبية وبالتحديد في العمارات السكنية التي يطلق عليها منطقة ٨٣، بدت العمارات وكأنها انشئت على دعامات داخل بحيرة مترامية الاطراف .

آراء متباينة

احد مسؤولي المنظمات الانسانية في مدينة الصدر عاب على امانة المدينة البطء في الاداء وعدم الاستعداد وذكر لنا أن المياه دخلت عليه في غرفة نومه مما حداه الى الاستعانة بفرش ارضية الغرفة بطابوق متوفر عنده وذكر ان البلدية قامت بتشغيل مضخة واحدة في مدينة الجوادر في القطاع ٣٦، وان الكارثة المطرية الادهى حلت في الجانب الشمالي من المدينة التي هي بالأساس طافحة بمياه المجاري منذ وقت طويل. وتمنى ان تعيد امانة بغداد النظر في مشاريعها في ضوء ما حدث.

وعلى جانب نقيض تحدث لنا احد شيوخ العشائر في المدينة قائلاً بانه قد توقع ما هو أسوأ من كثرة مياه الأمطار التي تساقطت مدراراً في اليومين المذكورين. ولكن ما ان انقطع تساقط الامطار حتى بدأت المياه تنحسر عن الشوارع شيئاً فشيئاً وهذا يدل على ان هناك من كان يعمل لكن يعمل بطاقة وامكانات قليلة لهذا تركزت الامطار على شكل برك واسعة في مناطق الحبيبية وساحة مظفر وفي الاجزاء الشرقية من المدينة.

مسؤول في امانة بغداد يعقب

قيل لي ان احد المسؤولين في امانة بغداد ذكر عند سؤاله عن دور الامانة في معالجة مياه الامطار المتجمعة في الشوارع والبيوت ان مياه الامطار كانت غزيرة وغير متوقعة، مضيفاً الى ان طبيعة الارض في العراق هي الانبساط الذي يساعد على تجمع المياه بالعكس من الاراضي المتموجة التي تعمل على انحدار المياه بسرعة دون اللجوء الى المضخات او الآلات الاخرى، ومقارنة بما حدث في السعودية وهي الدولة المستقرة التي لا يمكن مقارنتها باحوال العراق، فلقد فعلت فيها الامطار فعلتها وادت الى ما أدت اليه من خسائر، ولكن في مدننا التي طالها المطر الغزير لم يحدث فيها ما حدث في السعودية، اضافة الى ان الأمطار الاخيرة سوف تجعلنا نهتم ونحترس في عمل منظومة مجار خاصة بمياه الامطار تحوطاً لمثل هذه الحالات، فالمياه لم تقتصر على بغداد دون غيرها مما يجعلنا نستنتج ان ما حدث لم يكن متوقعاً.

كانت شبكة مجاري المياه عاجزة عن استقبال كميات المياه التي تساقطت من السماء والمياه المحصورة بين الارصفة بدت وكأنها انهر سريعة الجريان ولكن على عكس الطبيعة حيث تجري الانهار من الشمال الى الجنوب (ما عدا) مكاناً جنوب مدينة الصدر يدفع بمياهه نحو شمالها لهذا كانت المياه تتجمع في مناطق مثل الجوادر ومنطقة الخمسة والخمسين وساحة مظفر.

كانت سرعة جريان المياه بهذا الاتجاه تلفت الانظار وتساءل البعض عن السر ولكن لم يستطيعوا فك طلاسمه. وقد انتبه احد اصحاب البيوت الغرقى الى هذا السر فاستنتج وجود مضخات كهربائية تقوم بسحب المياه من الجنوب باتجاه شمال المدينة. ودعم نظريته مدة تزويد المدينة بالتيار الكهربائي اطول فترة ممكنة.

احدهم خرج من بيته وهو في حالة هياج يتهم الدولة بانها اقتصرت على اطلاق الوعود والاعلان عن رصد اموال وهمية ذهبت الى جيوب اللصوص على حد قوله.

ومما ذكره ان الدولة تذرعت كثيراً بالحالة الامنية، ومدينة الصدر مدينة مستقرة ليس فيها ارهابيون او مجرمون فلماذا لم تبدأ باعمارها والاكتفاء بالوعود الوهمية. ثم تساءل الى اين يذهب او ينام مع عائلته والبيت اختلطت فيه مياه المجاري الثقيلة بمياه الامطار.

وانقطعت السبل

حوصرت سيارات النقل مثل فئران في سفينة غرقى، فجميع الطرق من والى المدينة غمرت بالمياه تماماً، وكان السير مجازفة ما بعدها مجازفة فالشوارع قبل المطر كانت ملأى بالمطبات وخربة تماماً فما بالك وهي مغطاة بالوحول ومياه المطر؟ من هنا آثر اغلب اصحاب السيارات التوقف عن العمل وكانت اشارات اصحاب سيارات التاكسي واضحة فهم يرفضون باشارة من ايديهم التوقف للراكب الذي عمد الى اغرائهم باجور مرتفعة لكنهم رفضوا المغريات !

مع المسؤولين في البلدية

عند الموقع الذي تقع فيه بلدية مدينة الصدر تجمهر الناس، فضلاً عن حشد من السيارات (الشافطة) قد احضرت لاعمال شفط المياه في الساحة القريبة من مبنى البلدية.

بصعوبة استطعت الدخول الى المبنى بسبب منعي من قبل الشرطة المكلفين بالحراسة لكنني وبعد جدال استطعت ان ادلف الى الداخل لاسأل عن المدير المسؤول فأجابني احد الموظفين بان مدير البلدية ومعاونه قد خرجا مع الحملات التي توزعت في المدينة ودلني على المكان الذي يوجد فيه المدير ومعاونه لكنني لم اعثر لهما على اثر اذ قال لي البعض بانهما ذهبا مع الباحثين الى مكان آخر في شارع الفلاح.

وعدت المسؤولين الموجودين باني لن اذكر الاسماء لذا طلبت منهم الاجابة على ما لدي من اسئلة فكان لي ذلك وانبرى اثنان او ثلاثة منهم يحدثونني ... وهذا ملخص حديثهم:

يجب ان يعلم الجميع بان عملية المجاري وادامتها ومشاريعها المستقبلية قد انيطت بدائرة المجاري التابعة لمدينة بغداد وان بلدية مدينة الصدر في حل من هذه القضية، ومع ذلك فانها بادرت الى نصب مضخات ضخمة في شارع الفلاح وساحة مظفر وغيرهما من المناطق التي غمرتها المياه ويوم الاربعاء سوف تشهد تجفيف جميع المياه من الشوارع والمناطق، كما ان دائرة البلدية قد قامت بتأجير سيارات عديدة من اجل شفط المياه.

واضاف احد المسؤولين في البلدية ان انفصال مديرية المجاري عن البلدية كان منذ نهاية عام ٢٠٠٤ بناء على توجيهات جاءت من مديرية مجاري بغداد.

هذه الاقوال التي سمعناها كانت مقترنة بفعل وعمل اذ انتشرت العديد من سيارات المياه الشافطة ومضخات ضخمة مركزة عملها في منطقتي ساحة مظفر وشارع الفلاح.

الاخضر .. الاخضر

محمد عبد الله

الأخضر .. الأخضر كلمة كانت تتردد في السر بين كبار ضباط النظام المباد الذين كانوا بامرة صهر صدام حسين كامل. لم اكن اعرف بعد ما كانت تعنيه هذه الكلمة لكنها كانت تبعث في داخلي التداعي فاتخيل المروج الخضر والشجر واصص الزهر ايام الربيع.

وعند مطلع اذار شهر الخصب والنماء جاءني صديق يعمل معي في منشأة المثنى العامة على حدود مدينة الفلوجة من الجهة الشرقية وذكر لي ان هناك ضباطاً قد غادروا الى الشمال وكنت من الذين يعرفون بمهمات هؤلاء وطبيعة عملهم. كانوا ضباطاً برتب عالية عملوا في وحدات الجيش العراقي وبالتحديد في وحدة الصنف الكيمياوي يتلخص عملهم بقياس هبوب الرياح ومدى ملاءمتها لاستخدام السلاح الكيمياوي. إذ سبق ان قاموا بتجارب في صحارى الرمادي مستخدمين البغال لقياس مدى تأثير الاسلحة الكيمياوية عليها. وتناهت الى الاسماع حينها ان تجاربهم كانت ناجحة. وبعد ذهاب هؤلاء بيومين او ثلاثة. رأيت الشاحنات محملة بصواريخ ضخمة كانت مخزونة في بناية يطلق عليها "المخازن المصرية" التي كانت محوطة بسرية تامة ومثبتة عليها كاميرات مراقبة وكما يقال الشيء بالشيء يذكر ان هذه المخازن المصرية قد قامت ببنائها شركات (عصمان احمد عصمان) الذي تربطه بالرئيس المصري انور السادات صلة قرابة.

كانت المواد الكيمياوية تصنع من قبل مفاعلات تديرها شركة هيبركر الالمانية وتعبأ بالصواريخ بواسطة شركة (يروساك) الالمانية الشرقية قبل اتحاد الدولتين، بينما اقتصر دور شركة كارل كولب على تزويد المواد الكيمياوية الاولية عن طريق سماسرة لها في الاردن، وقيل وقتها ان مصدرها اسبانيا. كانت هذه المهمة التي اضطلعت بها شركة كارل كولب مهمة مزدوجة فعلاوة على كونها شركة متخصصة بنصب المكائن والاعمال الميكانيكية فقد قامت بدور الوسيط التجاري بين النظام المباد وبعض الدول لاستيراد المواد الكيمياوية المحظور التعامل بها وجنت من جراء ذلك مبالغ طائلة. ولقد هوجمت هذه الشركة ومقرها في ميونخ من قبل مجهولين وأوردت هذا النبأ صحف المانية تسنى لي الاطلاع عليها بواسطة مديرها المسؤول السيد (فرنزل) المتزوج من عراقية مسيحية من اهالي الموصل وتمتد جذور تعامله في العراق مع جهاز المخابرات لسنين طويلة.

في السابع عشر من آذار كان كبار الضباط تلوح على محياهم علائم البهجة وراحوا يرددون فيما بينهم ان (الاخضر) قد نجح وان القيادة سوف تجزل لهم العطاء من رتب عكسرية إضافية وسيارات مرسيدس على آخر الموديلات وبالفعل استدعوا من قبل صدام بعدها وكان لهم ما أملوا أنفسهم فيه حينها أسر لي بعض المهندسين العاملين في منشأة المثنى العامة التي كان يطلق عليها اسم (المنشأة العامة لمبيدات الافات الزراعية) للتضليل. ان كلمة (الأخضر) تعني (غاز الزارين) التي بذلت الدولة الأموال الطائلة في سبيل الحصول عليه واستقدمت الشركات من خارج العراق لاجل إنتاجه. وان اول تجربة على مدى نجاحه هو استخدامه ضد المواطنين في حلبجة.

ان الجثث المنتفخة للأطفال والنساء والشيوخ في حلبجة كانت تعني على الجانب الاخر مفخرة ونجاحاً ما بعده نجاح تهلل له وجه القائد الضرورة حينها. وانتفخت اوداج ضباطه من المرتزقة بالفخر بينما ملئت جيوبهم بالمال ووضعت على أكتافهم قطع من المعدن فزادتهم فخراً وغروراً .

تلك هي قصة الأخضر كما وردت في قاموس الفاشية !

الشبكة قديمـــة.. والمصـــروفات تذهب هبـــاءً !

يحيى الشرع

احد المشرفين على أعمال النظافة الذي رفض ذكر اسمه وموقع عمله خوفاً . قال لنا اعتقد واجزم ان احد أسباب انسداد شبكات المجاري هو (عصابات) شركات التنظيف والمتعهدين الذين اغلبهم من حملة الاوسمة والانواط والدرجات الوظيفية الخاصة في عهد النظام المباد. واضاف مئات الملايين تنزل عليهم من دون حساب او رقيب، يقدمون قوائم واسماء وهمية، يدعون انهم يشغلون (٦) شفلات اجرة الشفل الواحد (١٠٠) الف دينار غير انهم لا يشغلون سوى (٣) شفلات، قوائم العمال تشير الى (٨٠) عاملاً لكنهم في الواقع (٤٠) عاملاً ، ان هذا يجري بالاتفاق والتنسيق مع المسؤولين في الامانة. واخيراً نتساءل: أبهذه الوسائل يريدون اعادة الاعمار ؟حملنا هموم المجاري وتوجهنا الى مكتب المدير العام لدائرة المجاري في الامانة المهندس علي لعيبي المالكي الذي استقبلنا وبدأ يشرح لنا الاسباب والمشاكل التي تصيب الشبكة مع محطاتها قائلاً: قبل هطول الامطار بيومين ضيفني مجلس مدينة بغداد في اجتماعه، وتحدثت عن واقع الشبكة فهذه الشبكة انتهت صلاحيتها عام ١٩٩٢، وقلت علمنا ان الشبكة لا تتسع لأي امطار او سيول انها متآكلة وتالفة ولا تتناسب مع حجم التوسع الكائن للمدينة.

ان شبكة المجاري ستظل في حالة تدهور ما لم تنفذ (٧) مشاريع عملاقة في بغداد لتكون لدينا شبكة ومنظومة متكاملة تتناسب وحجم النمو السكاني والبيئة والامطار والحرارة..

واضاف: هذه التقديرات جاءت في دراسة وتصميم اساسي للشبكة اجريت عام ١٩٨٥ من قبل الاستشاري البريطاني في امانة بغداد جون هيست، والمشاريع المقترحة تبلغ اقيامها (٨٦١) مليون دولار، ثلاثة منها تنفذ في الرصافة والمشاريع الاخرى في جانب الكرخ . جانب الرصافة يخدم مدينة الصدر والعبيدي والحبيبية والكمالية والاحياء المجاورة لها وحيي الربيع وتونس . واما جانب الكرخ فتخدم معظم احياء الكرخ والكرخ الاطراف والدورة.. مع انشاء محطات عملاقة لولبية.. ومن ثم يبدأ بتنفيذ مشروع شبكة المجاري مع منظوماتها..

وعن كيفية الإجراءات الحالية قال للأسف انا اعمل بوجود بعض (الكوادر) القديمة التي تسيء الى العمل، وهناك اسطول من السيارات والآليات المتخصصة للشبكة العاطلة، مع ميزانية هي اقرب الى الصدقة، في حين تشير الدراسات الى ان دائرتنا بحاجة الى (٢٢٦) مليار دينار، لكن المالية لم تخصص لنا سوى (٢١) مليارا لم نتسلم منها الا ٨٪ .. فضلاً عن الوضع الامني المتدني.

اما بالنسبة لتصاميم مشاريع الشبكة فأبدى اسفه عليها، واشار الى وجود قياس عالمي يعتمد بالاساس على قياس شدة المطر وتغير التصاميم وتعاد المشاريع على اساس اذا كان قياس المطر٢٢ ملم كل عشر سنين، لكننا نعمل بشبكة ميتة وقياس المطر كان ٣٧ ملم مع وجود انابيب ضمن الشبكة تعتبر خانقة لا تتسع لاستيعاب ٢٠ داراً، فكيف نعمل على مثل هذه الشبكات التي تقوم بتصريف شبكة مدينة مثل بغداد حالياً؟

ازاء ذلك أشارت التقارير الخبرية الى ان مدن دبي والشارقة والإمارات ومكة المكرمة قد غرقت وطفحت مجاريها لعدم استيعابها كمية الامطار التي هطلت في المدة الاخيرة ، المعلومات التي استقيناها من مصادر الامانة اكدت لنا ان (١٨٠) مليون دينار شهرياً تصرف على التنظيف في مدينة المنصور و (٣٧٠) مليون دينار على الكرادة و١٢٠ مليون دينار على بعض احياء الكرخ: فماذا تقول وبعد؟